

# تطور النهضة الثقافية في الشام والمجمع العلمي اللبناني

الأستاذ محمد جميل بيهم

( لبنان )

## الحملات الصليبية

لقد دعا كل من البابا سلفستر الثاني في سنة 393 هـ - 1002 م والبابا غريغوار السابع في عام 468 هـ - 1075 م ملوك أوروبا وأصحاب الأقطاعات لتخليص بيت المقدس . ولكن دموبيهما ذهبا إدراج الرياح . حتى إذا ما شب الخصام بين الأسرة السلجوقية بعد موت السلطان ملكشاه ونشبت الحروب بينها بعد نحو عشرين سنة من هاتين الدمويتين كانت صرخة ناسك فقير هناك كالصيحة لجمع كلمة الأوربيين من أجل انقاذ قبر المسيح . وقد حملوا على بلاد الشام ثماني حملات كانت أولاها في سنة 409 هـ - 1096 م ، والاخيرة في سنة 669 هـ - 1270 م .

وبين هذه وتلك استقر الصليبيون في بلاد الشام مدة طويلة ، وتسلطوا على بيت المقدس الى أن تصدى لهم ، عقب الحملة الصليبية الثالثة ، صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر والشام 532 - 589 هـ ، 1137 - 1193 م وأخرجهم من فلسطين وما حولها ، ثم كان المماليك البحرية خلفاء الأيوبيين بمصر سبب صد الحملات الصليبية الاخرى من مصر ، وأخراجها من كافة بلاد الشام .

غير أن هذه البلاد ظلت نحو جيلين دار حرب فكسد فيها سوق العلم والأدب ، ولولا الحاجة الماسة الى العلوم الدينية لانصرف الناس عنها ايضا . هذا فعلا من كون أكثر بيوت العلم قد أقفلت في تلك الحقبة وان المكتبات قد أحرقت بفعل تلك الحروب . وحسبنا أن نذكر أن مكتبة طرابلس التي أحرقت في عهد الصليبيين ، أو أحرقوها ، كانت على ما قيل تحفل

كثيرا ما لاحظت ان الباحثين في موضوع تاريخ الثقافة العربية يغفلون عن ذكر المجمع العلمي اللبناني ويعود ذلك الى قلة السنين التي قضاها ، والى تقصيرنا ، نحن اللبنانيين ، في تدوين اعماله . وهي أعمال غير قليلة بالنسبة لعمره .

وقد رأيت أن اتلاني هذا التقصير على أن اتخذ هذه المناسبة فرصة لعرض ناحية مهمة في تاريخنا ، وأعني بها ناحية تطور نهضتنا الثقافية في بلاد الشام على مر العصور حتى الآن وذلك بصورة موجزة تتناول الخطوط الكبرى بحسب رابطة الأسباب بالمسببات .

## العالم العربي خلال ثلاثة قرون

لما وضعت كتابي « العرب والتراك في صراع بين الشرق والغرب » الذي صدر سنة 1957 جعلت هذا العنوان عنوانا للفصل الثالث منه . حيث بينت بالادلة ان القرون الثلاثة التي تبدأ بمطلع القرن الثامن الميلادي وتنتهي بختام القرن الماشر كانت قرونا ذات طابع عربي في العالم ، سواء أكان ذلك في النواحي السياسية والتجارية والصناعية أم في النواحي الصناعية والزراعية والثقافية ، وانها كانت كلها تقتبس من معين الحضارة العربية . ثم جعلت عنوان الفصل الرابع « ابن من سادوا وشادوا وبنوا ؟ » ذلك الفصل الذي تناول انهيار العرب ، وتغلب الأتراك عليهم الى أن استأثر بالحكم آل عثمان . وليس المجال هنا فسيحا للتبسط في جميع اطراف هذا الموضوع ، وإنما اكتفي بالناحية الثقافية منه ، وبالخطوط البارزة من هذه الناحية فقط ، وذلك نتيجة للأحداث السياسية .

بثلاثة ملايين مخطوطة . وكل ذلك كان من اسباب  
ذيول الحضارة العربية في المشرق .

### الحملات المغولية

وجاءت النكبة الثانية على الحضارة العربية من  
المشرق فاودت بها . ففي غضون الحروب الصليبية  
خف المغول الى اكتساح بلاد الشام . وهم قوم غزاة  
كانوا ينزلون في منشوريا بين نهري سنكاري  
والايرتس طالما هددوا الصين ، وتمرضوا لها حتى  
اضطر احد اباطرتها شي هنج تي لتشييد السور  
الكبير ، ابتداء من سنة 240 الى سنة 210 ق م  
ليكون سدا بين بلاده وبين هؤلاء المنشوريين . وهو  
على ما اثبت بكتابي « الاتحاد السوفياتي والصين  
الشعبية كانت تراهما » بعد زيارتي له هو نفس سد  
ذي القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم . غير  
ان هذا السور لم يقو فيما بعد على دفع غارات المغول ،  
بل ان ملكهم جنكيزخان الذي انشا امبراطورية كانت  
تمتد من بحر اليابان الى بحر قزوين فقد تمدها الى  
الصين وفرض على حكومتها الشرقية جملا لقاء حراسة  
الحدود ، كما ان ولده كوبيلاي نقل عاصمة بلاده من  
قره كروم الى بكين .

وكان جنكيز خان يرنو بعين الطمع الى بلاد  
الاسلام لما بلغه من خيراتها وعمرانها ثم لما علمه من  
تنازع ملوك الترك في اطرافها ، بالاضافة الى ضعف  
الخلفاء العباسيين الذين لم يترك لهم هؤلاء الاماجم  
الا السلطة الروحية ، فتقدم اليها حتى استولت  
على تركستان . ولكن الاجل عاجله قبل ان يدرك  
امنيته من البلاد العربية . ولما بويغ الخان منكوب بن  
طولي سنة 1246 م عهد الى قائده هولاكو فتح بغداد ،  
كما مهد الى قادة اخرين اكتساح اقاليم اخرى .

وقد ارسل هذا الخان وفدا الى لويس التاسع  
ملك فرنسا في قبرص ، وهو قائد الحملة الصليبية  
السابقة . بدموه فيها للاتفاق بينهما على المسلمين ،  
كما ان عطف هولاكو على النصارى - اذ كانت امه  
وزوجته مسيحيين - اغرى البابا اسكندر الرابع  
بدموته الى امتثاق دين المسيح لقاء وعد منه بمساعدته  
على المسلمين ، ولكن هولاكو استنكر هذه الدعوة وبقي  
على دين بوذا وعلى الرغم من وحدة الهدف بينهما  
فلم يصل الى توحيد العمل وانما اقتصرت العلاقات  
بينهما على التواد والتعاطف .

ولما دخل هولاكو بغداد سنة 656 هـ - 1258 م  
قتل المغول ما يزيد على مليون رجل فيها والقوا في

دجلة كتبها وكانت ، على قول مجلة الهلال م 19  
من 392 ، « شيئا لا يعبر عنه » ثم لما استتب له  
الامر فيها سير جنوده الى فتح الشام ، وقد تمكنوا  
من الاستيلاء عليها حتى بلغوا غزة ، غير انهم لم  
يتمرضوا للشغور التي كانت لا تزال في حوزة الصليبيين ،  
واهمها انطاكية وبيانا وعكا . اما نظامهم فيها  
ولاسيما في حلب فعلى قول ابن العبري تجاوزت  
الحد الذي ارتكبه في العراق . وكان اشدها تعرضهم  
للمكتبات التي كانت زينة الحضارة العربية وقوامها .

### نتائج الحملات الصليبية والحروب المغولية في الناحية الثقافية

ان الملوك اذا دخلوا قرية جعلوا عاليا سافلها  
فيكفي القول ان بلاد الشام كانت دار حرب تتناوشها  
من الشرق والغرب طوال ثلاثة قرون ونصف القرن  
اي من مطلع القرن الحادي عشر للميلاد الى اواسط  
القرن الثالث عشر يكفي هذا القول لتقدير سوء  
احوالها المادية والمعنوية فضلا عن الثقافية . ولاسيما  
اذا اضفنا الى ذلك الحروب الداخلية بين الاسرة  
السلجوقية ، ثم بين آل زنكي وآل ايوب ، ناهيك  
بالفتن الطائفية بين السنة والشيعة . فكان من  
حصيلة كل ذلك اندراس المكتبات ، واغلاق المدارس ،  
وضياع الاوقاف المحبسة على تلك المدارس  
والاعمال الخيرية ، وتعطيل الاقلام وتقليص القرائح على  
ان هذه الكوارث لم تنته بانتهاء القرن الثالث عشر ،  
وانما استمرت وبرزت على اشدها في مطلع القرن  
الخامس عشر بحملة تيمور لنك التركي على آل  
عثمان وعلى بلاد الشام فقضت على البقية الباقية من  
معالمها الثقافية .

وتجدر الإشارة هنا الى ان العلم كان قد النجا  
بعد سقوط بغداد الى مصر وسوريا . وقد رهأه  
الايوبيون بمصر والمماليك بدمهم فازدهر بمصر ،  
وانتمش ببلاد الشام التابعة لهم الا انهم طاردوا  
الفلسفة ولاحقوا ذويها . وفي ذلك الحين تناولت  
حلب علم الزعامة الثقافية من دمشق حتى قام فيها  
على رواية محمد كرد علي في خطط الشام « ثلاث  
مدارس للطب ومدرسة للهندسة » ولكن هذه المدارس  
وغيرها قضت عليها حملة تيمور لنك فاضاعت  
الشهباء ازدهارها .

وعلى كل حال فلولا تلك النهضة العلمية التي  
برزت بمصر خلال حكم بني ايوب وخلفائهم المماليك  
وشخص الطلبة السوريين لتلقي العلم ولاسيما في

وأما الشعب فلم يكن أحد منهم يهتم به . وهو ، وفي مقدمته العرب ، كان قد استيقظ بالتماس مع العالم الغربي بالمدارس والتجارة والهجرة ، وأصبح تواقا للمعرفة ومجاراة الركب العالمي فلم يسمه إلا الإقبال على المدارس التبشيرية المختلفة التي انتشرت في كل مكان علاوة على المدارس الخاصة التي أنشأتها الطوائف . فكانت العاقبة أن رعايا السلطنة العثمانية ، الذين هم في الأصل لا يشكلون وحدة قومية ، أمسوا كتلا متجانسة الأهداف في السياسة ، ومتباعدة في النطاق الملي . وكل ذلك أفضى في النهاية إلى متاعب واجهتها السلطنة مجلت بزوالها .

ومن رعى لغنا في أرض مسبعة  
وغاب عنها تولى رعيها الأسد

### النهضة الثقافية الحديثة في الشام :

أثر اختلاط الغرب بالمسلمين في بلاد الشام والاندلس وصقلية ، وفي أعقاب هجرة علماء بيزنطة إلى بلادهم بعد فتح العثمانيين عاصمتهم القسطنطينية سنة 857 هـ - 1457 م انتفض الغرب انتفاضة جبارة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، كانت منطلقا لحياة جديدة في الأجيال اللاحقة . ولم تقتصر نهضته على الناحية الثقافية ، وإنما تناولت الشؤون الاقتصادية ، وتركزت على القوة العسكرية .

ولكن الغرب على الرغم من انصرافه إلى بناء مطرد لم ينس أبدأ بيت المقدس . وآية ذلك أن ملك إسبانيا فيليب الثاني افتتح فرصة وجود الأمير فخر الدين المعني الثاني في ضيافته بصقلية وذلك في مطلع القرن السابع عشر ، ليعرض عليه التعاون معه على طرد العثمانيين من البلاد المقدسة . ولكن على الرغم من خصومة الأمير لهؤلاء أبي واستنكر وفضل العودة إلى بلاده على التواطؤ مع الأجانب على دولته ، وعلى مقدساته .

ثم لما جاء عهد الاستعمار وانتقلت المبادرة إلى الدول الأوروبية ظلت فلسطين ماثلة أمام أمين هذه الدول ، ولاسيما حين تدامت السلطنة العثمانية ، وأصبحت كل واحدة منها تسمى لان تؤمن نصيبها من أرث الرجل المريض .

وقد وضعت اعتمادها على الإرساليات التبشيرية التي كانت بمثابة طلائع جيش الفتح لان هذه الإرساليات لم يكن يعمد إليها التبشير بواسطة المدارس فقط ، وإنما كانت تعمل كدائرة

أزهر ميودها لا تدرست الثقافة في بلاد الشام ، ولما بقي فيها عالم أو أديب بالمعنى الصحيح . وعلى الرغم من أن كثرة العلماء أمسوا فيها من الحشويين الذين يختارون في التأويل الغريب المدسوس على الصريح المعقول ، ومن أن أكثر الأدباء أمسوا يمتنون بالالفاظ الرنانة والعبارات المنمقة دون المعاني ، ودون توجيه الشعب للبناء والانطلاق فإن البلاد لم يدركها القحط الكلي . بل ظهر فيها من العلماء والأدباء نفر أتيح لهم أن يحتضروا بالشهرة كابن عساكر المتوفي سنة 616 هـ ، وابن الفارض 645 ، وابن الأثير 637 ، وابن تيمية المولود سنة 661 .

### عهد السلطنة العثمانية :

كان من المفروض في بني عثمان الذين أتيح لهم أن يقيموا إمبراطورية عظيمة على انقاضي الممالك العربية وعلى انقاضي الإمبراطورية البيزنطية التي كانت في ذلك العصر منارة العلم في الغرب ، كان من المفروض أن يستغلوا مخلفات هاتين الامتيسين وأن يعطوا العالم حضارة جديدة أو أن يسيروا على الأقل في مواكب التمدن الحديث . ولكنهم باستثناء سلاطينهم الأولين الذين قلدوا الخلفاء العباسيين برعاية العلم والأدب ، وتحلوا بهما انصرفوا عن كل ذلك إلى حروب كانت غايتها في البداية التوسع في أوروبا ، وكان هدفها في النهاية الحفاظ على مكاسبهم الحربية ، ثم الدفاع عنها تجاه الاتحاد الأوربي المقدس الذي أبرم ضدهم . وبهذا وذال ظلوا يميدين عن العلم والأدب ، فما حافظوا على ما ورثوه من العرب ، وما اقتبسوا التمدن الحديث من الغرب إلا بعد أن اشرفت دولتهم على الانهيار . على أنهم ما أن فكروا في وجوب الخروج من نطاق الجهود وباشروا الإصلاح حتى كان هدفهم ينحصر في الشؤون العسكرية فأنشأ السلطان مصطفى الثالث ( 1757 م - 1774 ) مدرسة الفنون الحربية .

ولكن السلطان محمود الثاني ( 1808 م - 1839 م ) ما أن أتيح له القضاء على الاكتشارية ، هذه الطغمة التي كانت تقف في وجه التجدد ، حتى عمد إلى الانطلاق في سبيل الاقتباس من أوروبا . وفضلا عن بنائه المعهد الطبي بإسطنبول فقد أولد بمشة من الطلبة للتخصص في معاهد أوروبا . كما أن خلفاءه شرعوا يمتنون بالولايات . ولكن عنايتهم هذه كانت لا تتجاوز إنشاء مدارس أعدادية وعسكرية كانت الغاية منها أعداد الموظفين للحكومة ، وأعداد الضباط للجيش .

استخبارات لتسهيل الفتح ، والاعداد له بشئى الوسائل ومهما يكن من امر فان هذه الارشادات التى ترجع اولها الى عهد الامير نجر الدين المني المشار اليه فانها ولا شك عملت لبعث نهضة ثقافية فى سوريا ، ولاسيما بلبان رافقتها نهضة تجارية واجتماعية .

ثم كان لاحتلال نابوليون بوناپرت لمصر سنة 1213 هـ - 1798 م اثر كبير فى نهضة الشرق العربي ذلك لان هذا الفاتح الكبير استصحب معه لوائي النيل بعثة علمية فنية كانت حافلة باشتهر علماء فرنسا ، فوضعت التصاميم الإصلاحية وقامت ببعض المشاريع العمرانية التى كانت فيما بعد منطلقا لنهضة هذا المشرق الحديثة فى عهد الاسرة العلوية ، وخدويها ولا سيما فى لبنان الذي ساهم اينؤه فى النهضة المصرية .

### النهضة الثقافية فى لبنان :

منذ عني الاوروبيون بطباعة الكتب العربية وترجمتها فى مطلع القرن الخامس عشر بادروا للاستعانة ببعض المثقفين من اللبنانيين ، ولاسيما رجال الاكليروس . فانتقل هؤلاء الى روما والسى اكثر العواصم الغربية والجنوبية ، وساهموا فيها بأعمال الترجمة والطبع والتدريس وقد تولى نفر منهم الوظائف . وسرعان ما كان ذلك حافزا لهم وللمتخلفين منهم للالتفات الى وطنهم ، فانشأوا فى عام 1042 هـ - 1632 م المدرسة الاولى فى قرية حوقه ، والثانية فى حلب عام 1073 هـ - 1662 م وكانت اولى المطابع تلك التى استجلبها البطريرك انناسيوس دباس الى حلب فى مطلع القرن الثامن عشر . والثانية مطبعة الراهب الحلبي عبد الله زاهر فى دير مار يوحنا الطبشة فى الخنشارة بلبان ، وفى غضون تسابق الدول الاجنبية الى فتح المدارس التبشيرية فى المدن والقرى فى كل من ولاية بيروت ومتصرفية لبنان وغيرهما ادرك البيروتيون ، وعلى راسهم رجال الدين مغبة ترك تربية اولادهم لسواهم فخفت كل طائفة منهم لانشاء المدارس الوطنية .

وكان من نتيجة انتشار العلم فى الساحل السوري على وجه عام ذلك الاقبال الشديد الذى برز من قبل مثقفي الشعب على المزيد من فتح المدارس واصدار الصحف ، وانشاء المطابع ، وقراءة الكتب وتاليفها . وقد رافق هذا الاقبال ميل من الشعب لتأليف الجمعيات ولاسيما الادبية

والخيرية منها ، ولكن الوضع العثماني لم يكن يشجعهم ولذلك اضطروا فى البداية الى اللجوء للتعاون مع الاجانب ، الذين كانت تحميم الامتيازات من اجل تأليف الجمعيات المنشودة . وقد الف بعض علماء بيروت وادبائها سنة 1858 بالتعاون مع بعض المرسلين الاميركان « الجمعية العلمية السورية » التى كانت غايتها الاهتمام بنشر المعرفة وخدمة الادب فعاثت نحو سبع سنين . ثم لم تلبث ان هادت للحياة فى عام 1867 ، واصدت مجلة باسم مجلة مجموع العلوم . ولكنها لم تعيش طويلا .

وفى اعقاب ذلك تبدل الوضع فى سوريا حينما نصب مدحت باشا الملقب بابي الدستور واليا عليها سنة 1829 م . فهو اذ كان يطمح بالاستقلال فى بلاد الشام على غرار خيدوية مصر بتشجيع من فرنسا شرع يتحجب الى اهله فاطلق لهم شيئا كثيرا من الحرية . وكان الجو الذى بدا فى ايام ولايته وما بعدها مشجعا لبعض اهل العلم والادب من البيروتيين لان يؤلفوا المجمع العلمي الشرقي سنة 1881 بالاستقلال عن الاجانب . ولعلمهم اختاروا هذا الاسم لجمعيتهم من قبيل التمثل بالاوروبيين ومجامعهم العلمية . ولكن هذا المجمع لم يكمل العامين من العمر . فانبرى بعيد ذلك المطران يوسف الدبس لانشاء الدائرة العلمية المارونية برئاسة . ولم تكن اطول عمرا من سابقتها . ذلك بان السلطان عبد الحميد الثاني ( 1876 - 1909 ) لم يكن يرنح للتكتلات الشعبية الامر الذى ادى الى انحلال الجمعيات الخيرية ايضا ، وفى مقدمتها جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية . ولولا ان جمعية شمس البر الادبية كانت تستند الى رعاية الاميركان وحمائهم لما عاشت حتى الحرب العالمية الاولى ( 1914 - 1918 ) . ولا بدع فلقد كان عهد هذا السلطان شديد الحذر من مؤامرات الدول الاجنبية التى كانت تحاك حوله . والى ذلك فلم يكن يطمئن لشعبه الذى تخرج فى المدارس الاجنبية .

وهذا الخوف من الداخل والخارج حملته على التشديد فى المراقبة والمعاينة على الشبهات احيانا . من ذلك ان شاعرا بيروتيا ، واظنه مصباح البريرس نظم قصيدة غزلية كان مطلعها :

ان حبي كل يوم فى ازدياد

والهوى ياتي على غير المراد

فقامت قيامة الولاية فى بيروت ، وانتصبت

الجزان . لماذا ؟ - لان للسلطان اخا اسمه مراد كان قد اتهم بالخبل فخلع وبويع السلطان عبد الحميد مكانه . ومن هنا اتهم الشاعر بأنه يعرض بالعاهل المخلوع وسبق للمحاكمة .

وفي عهد كهذا ليس من المنتظر ان تتألف الجمعيات ، واذا تألفت لم يكن من المقدّر لها ان تعيش .

### الجمع العلمي اللبناني :

حفل لبنان في صدر القرن العشرين بحملة الشهادات العليا من خريجي المعاهد والمدارس الوفيرة فيه ، ومن خريجي جامعات الغرب . ولما أصبح له كيان سياسي في عهد الانتداب الفرنسي بالقانون الاساسي والحكم الدستوري اتجهت انظار الطبقة المثقفة فيه الى ان تكون له هيئة تمثل وجه وطنها الثقافي ، وذلك بانشاء مجمع علمي اسوة بسوريا منذ عام 1919 . وكان الشيخ ابراهيم المنذر الاديب الكبير عضوا في المجلس النيابي اللبناني فثار هذا الموضوع . ثم كانت له وقفات حوله قوية خلال عام 1927 سرعان ما اثمرت فقرر المجلس انشاء المجمع المنشود على الرغم من ان الانتداب الذي كان يشجع اللغة العامية بلبنان ضمن نطاق تميده من شقيقاته لم يكن راضيا عن هذا العمل . واستنادا الى قرار المجلس المذكور اصدر رئيس الجمهورية الاستاذ شارل دباس قانونا بانشاء مجمع علمي لبناني وذلك في 20 شباط 1928 غايته المحافظة على اللغة العربية ورفع شأنها ، والعناية بالمباحث والاممال المتعلقة باصولها وآدابها والمحافظة على الآثار ، ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته ، وغير ذلك مما يتعلق بإدارة الشؤون العلمية وتنظيمها . واصدر مرسوما آخر بتعيين السادة الآتية اسمائهم اعضاء لهذا المجمع : الشيخ ابراهيم المنذر ، والشيخ عبد الله البستاني ، والشيخ أمين تقي الدين (1) ، والشيخ منير حيران ، والشيخ محمد الحبيشي ، والاستاذ بولس خولي ، والبطريرك المينايطيوس افرام الرحماني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، والخولي بولس عبود ، والاستاذ وديع عقل ، والاستاذ الياس فياض ، والشيخ احمد عمر المحمصاني ، والاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، والاب لويس المعلوف ، والشيخ حسين مفتية .

وفي التاسع من شهر اذار 1928 المنسحب المجلس اعماله بحضور الشيخ بشارة خليل الخوري رئيس الوزراء الذي كان وزيرا للتربية الوطنية ، وانتخب مكتبه التنفيذي على الوجه التالي : الشيخ عبد الله البستاني رئيسا ، والشيخ احمد عمر المحمصاني ، والاستاذ وديع عقل ، معاونين للرئيس . وقد اتخذ المجمع في اول الامر وزارة المعارف والتربية مقر له ، ثم انتقل الى دار الكتب الوطنية ، ووالى اجتماعاته فيها الى ان استقل في دار له خاصة .

وقد حالت بعض الاسباب دون اشتراك السادة عبد الله البستاني والاب لويس معلوف ، والاستاذ عيسى المعلوف ، والشيخ محمد الحبيشي والشيخ حسن مفتية في جلسات المجمع الاولى فقرر اعتبارهم اعضاء مراسلين وانتخب بدلا عنهم السادة : الشيخ علي زين ، والخوري جرجي ستيبي « الذي أصبح من بعد مطران السرايان بدمشق » ، وجرجي صفا ، واسد رستم ، ومحمد جميل بيهم . ونتيجة لهذا التبدل اجتمع المجمع في 25 تشرين الاول 1928 وانتخب الاستاذ وديع عقل رئيسا له ، والياس بك فياض والشيخ ابراهيم المنذر معاونين وذلك لمدة عام . وقد وضع المجمع خلاله نظامه الداخلي .

ولما اترف موعد الانتخاب في السنة التالية ، وشعرت السلطة ان نية اكثر اعضاء المجمع منصرفة لانتخابي للرياسة تحركت فوراً لاني كنت من اشد المعارضين بلبنان للانتداب ، والمنادين بالوحدة العربية . وقد مهدت الى الشيخ بشير الخوري المندوب من وزارة المعارف للاشراف على الانتخابات السمي لتوجيه الاعضاء الى تجديد الرياسة للاستاذ وديع عقل ، وذلك في جلسة الانتخاب المحددة في 18 تشرين الاول 1929 ولما باءت مساميه بالفشل تحول بكلية الي ، وشرع يقنعني بالتخلي عن الرياسة للاستاذ عقل لسنة اخرى على ان اعلن ذلك لزملائي . فكان جوابي له : اني لم اكلف احدا منهم ان ينتخبني ، كما اني لا اعلم من هو المرشح عند كل منهم فكيف يسوغ لي من بعد ان اطلب منهم ان لا ينتخبوني لمنصب الرئاسة واعرض نفسي لقول قائل : من اخبرك اني مزعم ان اصوت لك ؟ . ولما استولي عليه الياس اجل الانتخاب ريثما يقابل نسيبه الرئيس

(1) وهم من المشايخ المدينيين الذين تحمل اسمهم هذا اللقب .

المحصاني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، وجرجس بك صفا .

وقد قامت هذه اللجان بما عهد اليها على خير وجه في جو من التعاون والوثام ورفعت الى المجمع تقاريرها لتكون اساسا للبحث والاقرار ، ومن ثم للتنفيذ .

#### تقرير اللجنة الادارية :

تناول التقرير الاوضاع العلمية والادبية في البلاد العربية ولاسيما لبنان كما تناول انشاء المجمع العلمي اللبناني واعماله منذ نشائه حتى ذلك التاريخ ، و اشار الى ما قد العزم على تحقيقه في تلك السنة وما بعده . ولاسيما في حقل توثيق العلاقات بينه وبين المجمع العربية الاخرى . كما انه اشار الى بعض الدعوات الخارجية التي وردت له ، وعلى راسها دعوة المجمع الادبي العام في باريس .

#### تقرير اللجنة اللغوية :

بعد ان اكد التقرير ضرورة التعاون مع سائر المجمع العلمية العربية ، وبمدا ان اشار الى آراء طائفة من اكابر كتاب العرب بشأن اصلاح اللغة توصلت اللجنة الى الاستنتاج بان هؤلاء على خلاف في وجهة المسير . فبينما يقبل بعضهم ما يقرره الافراد المعنيون باللغة فان البعض الاخر كان يرى ان للمجمع وحدها الحق في وضع الكلمات الجديدة . وقال التقرير في التعليق على ذلك بناء على ما تقدم راي المجمع العلمي اللبناني قبل ان يجرم في هذا الشأن ان ينتدب رئيسه الحالي الاستاذ جميل بهيم فيقصد مصر . ومصر اليوم قلب العالم العربي النابض : ويسمى لاجداد صلة بين الهيئات اللغوية والمجمع العلمية في الاقطار العربية تمهيدا لمقعد مؤتمر عام يجتمع في كل سنة لاجل التعاون والتفاهم على الطرق السوية لترقية اللغة العربية . ولقد سافر الاستاذ الرئيس الى مصر فقابل وزير المعارف ، وصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وبسط لهما مهمته فلقى منهما الارتياح التام . ثم اخذ يث الدعوة بين جمهور المفكرين العاملين . وساعده على ذلك بعض اهل الفضل والوجاهة بما عقده من حفلات لهذه الغاية . وقبل مغادرته مصر تالفت لجنة في القاهرة من كبار مفكريها وعلمائها جعلت همها السعي لتحقيق هذه الغاية . ولم يطل المعهد حتى نقلت اليها الصحف البشرية بانشاء المجمع المصري للثقافة العلمية وترقية اللغة العربية .

الشيخ بشارة الخوري . ولم يلبث الا قليلا حتى عاد حاملا الى بشري الوعد بتعييني وزيرا للمعارف والتربية الوطنية اذا تخلصت من رئاسة المجمع . فقلت له مبتسما انت تعلم يا شيخني اني لست من طلاب الوظائف ، كما تعلم ايضا ، مما نشرته الصحف في حينه ، اني كلفت باشتغال مناصب عالية من قبل فرفضت التعاون مع العهد ، فكيف تريدني التحول الآن من مبدئي ؟ لهما وسع الشير الا السكوت على مفض . ولما جرى الانتخاب يومئذ اسفر عن احرازي معظم الاصوات للرئاسة ، ومن انتخاب الشيخ ابراهيم المنذر والاستاذ سعيد عقل معاونين لهما . وهنا مجال للتنويه بالاستاذ عقل هذا الرجل الوطني الموهوب ذلك لانه تعاون معي في نطاق خدمة المجمع وكان شيئا لم يقع من قبل ، وكرس جريدته الراصد للتكلم بلسانه .

وكان اول عمل باشره المجمع بعد ذلك تطبيق نظامه الداخلي الموضوع في العام الفائت يتوزع تقسيم امضائه على اربع لجان عهد الى كل منها ان تعمل بجهد ونشاط ضمن نطاق المهمة الموكولة اليها وهي :

اللجنة الاولى « الادارية » ومهمتها القيام بالاممال الادارية ، وتحضير الموازنة المالية كل عام . وكانت تتألف من السادة : محمد جميل بهيم ووديع عقل وابراهيم المنذر .

اللجنة الثانية « اللغوية » ومهمتها التدقيق في وضع الكلمات والمصطلحات للمعاني العلمية الجديدة والمسميات الحديثة . والتعاون مع المجمع العلمية العربية الاخرى توصلا لوضع معجم يوفى حاجة العصر . وكانت تتألف من الشيخ منير ميران ، والشيخ ابراهيم المنذر والياس بك فياض والشيخ امين تقي الدين .

اللجنة الثالثة « لجنة التاريخ والجغرافيا » وعهد اليها بالإضافة الى التحقيقات التاريخية وضع معجم جغرافي للبنان على اسلوب علمي حديث . وكانت تتألف من الاساندة اسد رستم . وبولس الخولي . والخولي جرجس ستيني . والسيد علي الزين ومحمد جميل بهيم .

اللجنة الرابعة « لجنة المخطوطات » وعهد اليها بوضع احصاء عام للمخطوطات العربية في الجمهورية اللبنانية ، وترتيب تدوينها على طريقة علمية تسهلا لمراجعتها . وكان قوامها الشيخ احمد عمر

والفرنسية في بيروت . فطلبنا الى حضرة الاب هنري لامنس اليسوعي ان يتولى كتابة المقدمة التي تتعلق بجغرافية لبنان التاريخية ، وإلى الاب جبرائيل لوفتك ان يكتب مقاله في جغرافية الجبل الاقتصادية كما انا رغبتنا الى بعض اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت ، وهم الفريد داي ، وبوليوي برون ، والدكتور ويليم فانديك الكتابة في جيولوجية لبنان ومناخه وحيواناته ونباته ومياهه . واما القسم الاكبر من العمل في هذا المعجم ، وهو جمع حقائق عامة في الجغرافيا والتاريخ من البلدان والقرى والمزارع اللبنانية ، وترتيب هذه المباحث وتنسيقها وضبطها فقد شرعت به هذه اللجنة وطبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام . وفي كل منها حقول متنوعة تتناول المدن والقرى وعدد النفوس فيها ، والمداهب ، والانهار والينابيع والجبال والمناجم والمعابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ، ومواطن الآثار ، واهم الحاصلات الزراعية والمنتجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون هذا اماكن الاصطيات ، ورفعنا هذه الجداول الى وزارة الداخلية الجبلية لتامر بتوزيعها على المحافظين والمديرين والمختارين في الجمهورية اللبنانية . وقد اعيدت الجداول المذكورة مبعأة ، ومهد بها الى هذه اللجنة لتصحيح ما يحتاج التصحيح . ولتنسيقها .

#### تقرير لجنة المخطوطات العربية القديمة :

اشار التقرير الى الصعوبات التي تعترض من ينقب عن هذه المخطوطات ، ولا سيما لان اكثرها كان موزعا على مكتبات خاصة لم تعمل بعد ابدي الباحثين للتحري عنها . واكثرها غير معروف لم ينسب اللجنة انها بدأت باحصاء ما في مدينة بيروت ، وانها ستشرع من بعد في البحث عما يوجد في غيرها من المخطوطات حتى اذا اكتمل العمل تنظم منه معجما محيطا ليسهل الرجوع اليه على ان يشمل هذا المعجم اشارة الى موضوع كل كتاب . وإلى الزمن الذي وضع فيه ، واذا كانت له مزية اخرى . وختمت اللجنة التقرير بذكر ما احصته في مكاتب بيروت الكبرى من المخطوطات فكان كما يلي :

مكتبة الجامعة الاميركية :

183 مجلدا و 134 رسالة

مكتبة الآباء اليسوعيين :

245 مجلدا و 44 رسالة

وبعد ان اشار التقرير الى البيان الوافي الذي وضعه سنة 1928 الشيخان عبد الرحمن سلام ، واحمد عمر الحمصاني في كيفية المحافظة على اللغة العربية ، واورجه بما ورد في الختام : «لذلك نرى ان باب الاشتقاق في اللغة العربية يجب ان يفتح على مصراحيه توصلا الى استخدام الافعال والصفات المتعلقة بها حسب مقتضيات العصر ، فيتمتع بذلك مجال الانشاء ، ولا يعاني طلاب العلم والكتاب ما يعانيون من المشاق والمصائب » ومضى يقول : « وسننظر فوق ما تقدم في اصول اللغة ، اي قواعدها الاساسية المتخذة حجة لصحة الكتابة والانشاء . وهي في كل فرع من فروع الصرف والنحو والعروض والبيان وغيرها لا تزال على حالها منذ وضعها الائمة لم يطرح منها باب ، ولا عدلت قاعدة لذلك شق تعصيلها على طلابها لانهم رزحوا تحت امثالها ، وضاموا بين المؤلفات الضخمة ، والآراء المتباينة ، والقواعد المعقدة التي يجب ان تطرح من كتب اللغة سهلا لتناولها . ولا يخفى ما في تحقيق هذه الامنية من الصعوبة تجاه المتعنتين . ونحن نتوخى في كل حال المحافظة على عظمتها وتمايزها الشاملة مستميين باقطابها المدققين العاملين الفاردين في مشارق الارض ومغربها » .

#### تقرير لجنة التاريخ والجغرافيا :

اشار التقرير الى اهتمام اللجنة بتاريخ لبنان وجغرافيته ليقف المواطن على احوال بلاده وقوتها صحيحا ويلم بكل ما فيها من العالم والآثار بالاضافة الى تراجم كبار اللبنانيين الذين تركوا خيرا ذكر في العلم والادب او الوجهة مع العمل البناء لم يفسى يقول :

« لما كان العالم العربي في الشرق والغرب في حاجة الى المراجع الكاملة عن بلاده ترى اللجنة ان يعني المجمع في بدء اعماله ، منابة خاصة ، بوضع معجم جغرافي لجميع البلدان والقرى والمزارع والانهار والجبال في الجمهورية اللبنانية ، وان يكون لهذا المعجم الجغرافي مقدمات عامة في جغرافية لبنان السياسية والاقتصادية والتاريخية مصحوبة ببعض مباحث في جيولوجية لبنان ومناخه ونباته وحيوانه وذلك بالاستعانة بفريق من اساتذة الجامعتين الاميركية

## الفاء المجمع العلمي اللبناني :

198

476

كان بين الاستاذين المحامين اميل اده والشيخ  
بشارة الخوري تنافس على الرياسات في عهد  
الانداب وبعده . فلما خلف الاستاذ اده الشيخ  
بشارة على رئاسة الوزارة ، وهو رائد من رواد دولة  
لبنان واعتماده على فرنسا لم ترق له اتصالات  
المجمع العلمي اللبناني بالمجامع العلمية والاذنية  
العربية . لذلك فوجيء المجمع في عهده بمرسوم  
صادر من رئاسة الجمهورية مؤرخ في 3 شباط 1930  
يقضي بالغائه تحت ستار التوفير على الخزينة .  
فكان لهذا المرسوم اثر سيء ، ولا سيما على اعضائه  
الذين كانوا يوفون الخدمة حقها ، ولا يريدون جزاء  
ولا شكورا ، فقدموا استدعاء الى وزارة الداخلية  
بطلب الترخيص لهم لمتابعة العمل باسم المجمع المذكور  
دون الاعتماد المالي . ولكن المجمع اضطر فيما بعد الى  
التوقف لان مؤسسة كهذه عليها ما عليها من النفقات  
لا يطول عمرها اذا لم تمددها الحكومات بالمساعدة .  
ثم ما برح اعضاء المجمع ، الذين كانوا يشعرون  
بالفراغ . يطالبون باعادته . وقد استجاب لهم المجلس  
النيابي عام 1944 . وفرد تخصيص مبلغ من المال  
لاعادة المجمع . ولكن الحكومات المتتالية ضربت  
صفحا منه فقضى نحيبه هكذا قبل القطاف .

وفي هذه المناسبة يطيب لي ان اذكر ان مكتبة  
المخطوطات في داري تحتوي على 41 مخطوطة بعضها  
ليس له نسخة ثانية في المكتبات الاخرى .

## الى الامام في خدمة العرب والعربية

وقد استمع المجمع الى تقارير لجانه وناقشها ،  
وحدث اعضاءها على المزيد من النشاط حبا بالقيام  
بالتبعة الملقاة عليهم على حير وجه . وقرر في الجلسة  
التي عقدها يوم 29 اذار 1929 تكليفني بأن اتصل  
بالمجمع العلمي العربي بدمشق من اجل التماسون على  
تحقيق فكرة المؤتمر اللغوي العام الذي كنت دعوت له  
في مصر فانجزت ما تقرر .

هذا وكانت جريدة البرق نشرت مقالا لصاحبها  
الاستاذ بشارة الخوري اقترح به على المجمع اكمال  
دائرة المعارف التي اصدر بعض اجزائها الاستاذ  
بطرس البستاني قبل حين فرحب المجمع بهذا  
الاقتراح وفوض الى اثنين من اعضائه : الشيخ عبد  
الرحمن سلام والاستاذ جرجس صفا . لدرس هذا  
الموضوع وليقدم كل منهما تقريرا في الوسائل التي  
يمكن بها تحقيق هذا الاقتراح . وفضلا من ذلك  
فقد قرر انشاء ناد يشتمل على مكتبة عامة ، ومجلة

